

اللسان.. داء ودواء



► من دعاء الامام زين العابدين (ع):

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ واجْعُلِ الْقُرْآنَ لِأَلْسِنَتِنَا عَنِ الْخُوْصِ فِي الْبَاطِلِ مِنْ غَيْرِ مَا آفَةٌ
مَخْرَسًا، وَلِجُواْرِحُنَا عَنِ اقْتِرَافِ الْإِثْمَانِ زَاجِرًا".

اللسان: هذه الكتلة اللحمية التي تقع في وسط فم الإنسان صغير جرمه، عظيمة طاعته وعظيمة معصيته. ولا يُعلم الحق والباطل، والكفر والإيمان إلا من خلاته. وما من موجود أو معهود، خالق أو مخلوق، متخيّل أو معلوم، مظنون أو موهوم إِلا وللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي. وهذا ما لا نجده في باقي أعضاء الجسم.

اللسان فيه صلاح الأُمّ و فيه هلاكها، فيه الحرب وفيه السلم، فيه الجنة وفيه النار، وإنَّ أكثر خطايا ابن آدم من لسانه. فإذا أرادَ اهـ بعْدَ خيراً أعاشه على لسانه وشغله بعيوبه عن عيوب غيره. ومن قلَّ كلامه كمُلِّ عقله، عن علي (ع): "إذا تمَّ العقل نقم الكلام".

لقد شَخّصَ الإمام السجّاد (ع) قيمة اللسان في أدعيته وشَخّصَ الإمام آفات اللسان، التي إن أهملها الإنسان سلكت به مسلك الشيطان في كل ميدان، وساقته إلى شفا جرفٍ هارٍ. فيقول (ع):

"اللَّهُمَّ اجْعِلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رُوْءِيِّ مِنَ التَّمْنَى وَالتَّنْبَيْهِ وَالْحَسْدِ ذَكْرًا لِعَظَمَتِكَ، وَمَا جَرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةٍ حَشْرٌ أَوْ هَجْوٌ، أَوْ شَهَادَةٍ بَاطِلٌ، أَوْ اغْتِيَابٍ مُؤْمِنٌ غَائِبٌ، أَوْ سَبٌ حَاضِرٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نَطْقًا بِالْحَمْدِ لِكَ، وَإِغْرِاقًا فِي الْثَّنَاءِ عَلَيْكَ".

في هذا المقطع من الدعاء يعلّمنا الإمام قاعدة أساسية هي وزن الكلام قبل النطق به من خلال إرجاعه إلى العقل، فإن كان في طاعة الله تعالى تكلّمنا به، وإن كان مسلكاً للشيطان التزمنا السكوت، لأنّ في ذلك نجاتنا. عن رسول الله ص: "من صَمَّتْ نجا" و: "من كان يؤمّن بما واليوم الآخر فليقل خيراً أو فليصمّم". وعن الصادق ع: "ما من يومٍ إلا وكلّ عضوٍ من أعضاء الجسد يكفُ اللسان،

يقول: نشدتك أَنْ زُعْدَ بَـ فِيكَ".

ولآفات اللسان أبعاد فردية واجتماعية، تستعرض أهمها في ما يلي إن شاء الله:

الآفة الأولى:

التكلم بالمباح من دون هدف، وهذا ينتج عنه مضيعة للوقت من دون حاجة أو ضرورة. يُقال: إن لقمان الحكيم كان ذات يوم أمام دكان نبي الله داود (ع)، حيث كان داود يصنع درعاً ولكن لقمان لا يعرف ماهيّة هذه الدرع، فأراد أن يسأل داود عمّا يفعل ولكن منعه الحكمة من ذلك.. وبعد أن أتم داود الدرع ولبسها قال: نعم الدرع للحرب.. عندها قال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله. أي حصل العلم من دون سؤال. وقال: لا أسأل عما كُفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيوني. وعن رسول الله (ص) في وصيته لأبي ذر: "ألا أعلمك بعملٍ خفيف على البدن ثقيل في الميزان؟" قلت: بلى يا رسول الله، قال: "الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك".

الآفة الثانية:

فضول الكلام خارج ما يحتاجه الناس.. وهو من الأعمال المذمومة حتى وإن لم يكن فيها ضرر فردي أو اجتماعي.

قال تعالى: (لَا خَيْرٌ فِي كَثْرَةِ مِنْ زَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ رَبِّهِ مَدَّقَةً أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) (النساء / 114). وعن رسول الله (ص): "طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه، وأنفق الفضل من ماله".

الآفة الثالثة:

الخوض في كلام الباطل.. من خلال التكلم بالمعاصي (كاللحم والنساء، والغناء، وكل منكر) فعن رسول الله (ص): "أعظم الناس خطايا يوم القيمة أكثرهم خوضاً في الباطل".

الآفة الرابعة:

المجادلة.. وهي الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، إما باللفظ، أو بالمعنى، أو بالقصد.. وهذا يكون أحياناً من قصور المعرفة. لأنّ الذي يخوض في حرب سجال من كلام القصد منه مجرد الطعن والقدح وإفحام الغير وتعجيزه بغير طاعة الله، يقوم بعمل مكروه سيء. وهناك حالة مصاحبة للمجادلة وهي المرأة.. والغرض منها هو المجادلة، وقد نهى عنهما الإسلام.

عن رسول الله (ص):
"لا تمار أخاك، ولا تمازجه، ولا تعد موعداً فتخلقه".

"ذروا المرأة فإنّه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته".

"من ترك المرأة وهو محقّ بُني له بيت في أعلى الجنة".

الآفة الخامسة:

الخصوصة.. وهي اللجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حقًّ مقصود، وذلك تارةً يكون ابتداءً وتارةً يكون اعتراضًا. فعن رسول الله (ص): "إنَّ أَبغضَ الرِّجَالَ إِلَى أَنْ يُأْلِدَ الْخَصْمَ".

الآفة السادسة:

التتصنع في الكلام.. والمتصنع هو المتعمّق المغالٰي المتاؤز لحدوده في القول والفعل. فعن رسول الله (ص):

"أَلا هَلْكَ الْمُتَصْنِعُونَ، ثَلَاثَ مَرَاتٍ".

الآفة السابعة:

بذاءة اللسان: وهي استخدام اللسان في الكلام الفاحش. عن رسول الله (ص):

"لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالظَّعَانِ وَلَا الْفَاحِشُ وَلَا الْبَذِيءُ".

"سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر".

الآفة الثامنة:

الغناء: وهو عملية الترجيع بالكلام الذي يخدش الحياء، ويثير العواطف الشهوات، ويشجع السامع على عمل المنكر، أو قول المنكر على الأقل. رسول الله (ص): "الغناء عُشرُ النفاق".

كذلك فقول الشعر في مدح السلاطين أو الطالمين، أو القول بدون الفعل، هو من الآفات القاتلة للشخصية، ومن أعمال المنكر.

الآفة التاسعة:

المزاج.. وهو الإفراط في كلام اللهو الذي يُذهب الهيبة، ويُضعف الشخصية، لأنَّه مدخل إلى المعصية. عن رسول الله (ص): "إِنِّي لَا أَمْرُحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا".

الآفة العاشرة:

السخرية والاستهزاء: آفتان من آفات اللسان حررْ مَهْما الإسلام، حيث قال تعالى: (لا يَسْخَرْ).

وَقَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ (الحجرات/ 11).

الآفة الحادية عشرة:

إفساء السر: هو من الأعمال الخيانية، وهو عمل منهي عنه في الإسلام لما فيه من العواقب الوخيمة على الفرد والمجتمع. عن رسول الله ﷺ (ص): "إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة".

الآفة الثانية عشرة:

الأقوال والوعود الكاذبة: وهي خلاف المصدق والموافقة وتُعدّ من أبواب النفاق. عن رسول الله ﷺ (ص):

"أربع من كُنَّ فِيهِ كَانَ مَنْفَقًا": ومن كان فيه خلّةً منهاً "كانت فيه خلّةً من خلال النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غادر، وإذا خاصم فجر".

"الكذب ينقص الرزق".

"ويل للذى يُحدِّث فىكذب ليضحك به القوم، ويل له".

الآفة الثالثة عشرة:

الغيبة: هي ذكر الناس بما يكرهون ذكره.. عن رسول الله (ص): "إياكم والغيبة فإنّ الغيبة أشد من الزنى، فإنّ الرجل قد يزني فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه".

الآفة الرابعة عشرة:

النميّة: هي كشف سر الناس، بل كل ما رأاه الإنسان من أحوال الناس مما يُكْرَه كشفه، إِلَّا إذا كان في ذلك مصلحة ل الإسلام أو دفع لمعصية. أما إذا تكلم الفرد عن شيء يكره كشفه ويكرهه الناس لما فيه من نقص وعيوب للمحكى عنه فإن الحاكى قد جمع بين الغيبة والنميّة.

قال تعالى:

عن الباقر (ع): "الجنة محرّمة على المفتّا بين والمشّائين بالنّيمّة".

الـ١٥

كلام ذوي اللسانين.. وهو النفاق.. ذو اللسانين هو المنافق، عن رسول الله ﷺ (ص): "من كان له وجهان

في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة" وعن الباقر (ع): "بئس العبد عبداً يكون ذا وجهين
وذا لسانين، يُطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسه، وإن ابتلي خذه".

الآفة السادسة عشرة:

المدح.. هو ذكر الناس بما فيهم، أو مبالغة بذلك أكثر مما فيهم، وهو من الأعمال المكرورة لأنها تُظهر عوارض مرضية في الماد والمدح، وهي الكذب من خلال الإفراط بالمدح، والرياء الذي هو إظهار المحبة المفرطة للمدح، وذكر المدح بما ليس فيه، أو بما فيه ولكن لا يريد أن يعرف عنه الناس، كما في النهار، قائم الليل. كذلك فإنّ في عملية المدح منكراً هو توليد حالة الكبر والإعجاب في المدح وهذا خصلتان مهلكتان. عن رسول الله (ص) حينما سمع رجلاً يمدح آخر:

"ويحك، قطعت عنق صاحبك، لو سمعها ما أفلح، ثمّ قال: لا بدّ أحدكم مادحاً أخاه، فليقل: أحب فلاناً ولا أركي على أحداً حسيه الله، إن كان يرى أنّه كذلك".

الآفة السابعة عشرة:

الغفلة عن الحق، وهي قول الشيء مع الجهل به، لا سيما فيما يتعلق بما تعلّى وصفاته، أو أمور الدين عن رسول الله (ص):

"لا يقل أحدكم: ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت".

"لا تقولوا للمنافق: سيدنا، فإنه إن يكن سيدكم فقد أخطئتم ربكم".

من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً".

الآفة الثامنة عشرة:

الجهل المركّب، هو التحدث بما لا يعلم مع ادعائه بالعلم وجهله بالجهل، وهذا مدخل إلى الانحراف، وقد يصل إلى حالة الكفر.. وهذا ما حذر منه الإسلام.. عن رسول الله (ص):

"ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على الأنبيائهم، مما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم".

إنّ هذا الاستعراض السريع لواقع اللسان وخطره على الفرد والمجتمع والذي رکز عليه الإمام السجاد (ع) في أدعيته.. يعلّمنا أنّ الإنسان المسلم لا يُشغل لسانه إلا بما فيه طاعته سباحة من خلال القول الطيب الذي يكون في صلاح الأفراد والأمم... أما الكلام في طاعة الله فالنطق فيه واجب، وأما الكلام في معصية الله فالنطق فيه مذموم لأنّه يوقع الفرد والمجتمع في دائرة الحرام.

عن لقمان الحكيم وهو يعط ابنه:

"يابني، إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضة فإنّ السكوت من ذهب".

سئل الإمام السجاد (ع) عن الكلام والسكوت أيهما أفضّل.. فقال (ع):

"لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضّل من السكوت"، قيل: وكيف ذاك يا ابن رسول الله؟ قال (ع): "الآن" الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام. ولا استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجبته ولاده الله بالسكوت، ولا وفيت الناس بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام. ما كنت أعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام، بالسكوت".

إذاً فالتوارن هو المطلوب من خلال المعرفة العميقه لمسؤولية الكلام ومسؤولية السكوت. وتشخيص الحاله تعتمد على المكلف نفسه. أما أن ينطق الإنسان بالآفات سالفه الذكر من دون النطق في طاعة الله فهذا ما لا يقبله الإسلام، وبالتالي تكون هذه الآفات عوامل هدم في الفرد والمجتمع، أو النطق بالحق وهو المطلوب. إذاً فلا يجوز السكوت عن قول الحق، ولا يجوز الكلام في غير الحق.

وفقنا الله تعالى لمراضيه، وجعل قلوبنا وألسنتنا لاهجة بذكره سبحانه، وجنينا الوقوع في آفات اللسان، إزنه سميع مجيب الدعوات.

مصادر البحث:

1- القرآن الكريم.

2- الميزان في تفسير القرآن.

3- وسائل الشيعة.

4- الدليل إلى موضوعات الصحيفة السجادية.

5- مرآة الرشاد.

6- الأخلاق.

7- المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء.

المصدر: (مجلة نور الإسلام/ العدد 33 و 34 لسنة 1992م)